هل أبو هريرة صحابي؟؟[1]

الدكتور سعد الدين العثماني

الدكتور مصطفى بوهندي صديق قديم وأخ عزيز، عاشرت بعضا من مسيرته العلمية، وأنا مثله تواق إلى فكر تجديدي ونظرات نافذة في تراثنا الإسلامي على أسس علمية وعقلانية. وكانت لنا في هذا المجال نقاشات طويلة.

إن الجرأة في العلم أمر محمود، بل مطلوب، ومراجعة المسلمات شيء ضروري تجاوزا للأخطاء والانزلاقات... لكن يجب أن يتم ذلك بمنهج علمي سليم وانطلاقا من معلومات مضبوطة ومتكاملة وإلا كان خبطا وخلطا سريع التهافت.

أقول هذا بمناسبة كتاب الأستاذ مصطفى بوهندي الأخير "أكثر أبو هريرة: دراسة تحليلية نقدية". فكثير من الأفكار والتساؤلات الواردة فيه مشروعة. لكنها ليست المرة الأولى التي تثار، بل كانت مجال نقاش وسجال منذ قرون طويلة. ولا حرج في إعادة إثارتها وإضافة أخرى عليها. وقد كتبت منذ مدة عن الفرق بين ابن عباس وأبي هريرة، وكون الأول فقيها والثاني حافظا راويا. ومعروف لدى المتخصصين أن الفقه مرشد للرواية، حتى قالوا بترجيح الحديث الذي يرويه الأكثر فقها عن الذي يرويه غيره. وفي ذلك يقول بدر الدين الزركشي في "البحر المحيط" أثناء الحديث عما ترجح به الأخبار المتعارضة: "رابعها – بفقه الراوي سواء كانت الرواية بالمعنى أو باللفظ فتقدم روايَة الفقيه على من دونه، لأنه أعرف بمقتضيات الألفاظ". قلت: والفقيه أيضا أعلم بالسياق التشريعي العام وبسياق الأخبار والروايات، إضافة إلى مقتضيات الألفاظ.

---

[1] – نشر هذا المقال في جزأين بجريدة "التجديد" المغربية / العددان 400 و401 / (14 و15 ربيع الثاني 1423هـ / 26 و27 نونبر 2002)

من الوارد إذن أن تقع لأبي هريرة أخطاء في رواياته، وهو ماكشفه العديد من العلماء من قديم. ووارد أيضا أن تتسرب إسرائيليات إلى بعض مرويات أبي هريرة. لكن هذا لا يبطل سائر مروياته ولا يضر بمكانته، لأنه من الخطإ البشري الذي يمكن أن يقع لأي أحد. وكشف ذلك يجب أن يتم بمنهج علمي مضبوط وبحجج مدروسة.

قد أوافق إذن الدكتور بوهندي في بعض ماقال، وقد أخالفه في غيره. لكن مالم أكن أنتظره منه أن ينفي كلية صحبة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم. لقد تسرع أخي مصطفى وانزلق من حيث لم يأخذ بأبسط أسباب الاحتياط والحذر، فقرر في عجالة وبأدلة منتقاة مبتسرة حكما كبيرا يحتاج إلى تأن وروية، وإلى استيعاب للمادة العلمية الضرورية. إليه – وإلى كل باحث عن الحقيقة – أوجه هذه الأسطر الاستدراكية عن الكتاب عساها تساعد على رد الأمر إلى نصابه.

الاستدراكات المنهجية

تشوب الكتاب اختلالات منهجية عديدة تضر بالمستوى العلمي للأفكار الواردة فيه. ومن ذلك:

ــ التعامل الانتقائي مع النصوص، فجميع الأحاديث والروايات والأقوال التي تسير في الاتجاه المعاكس للكاتب مستبعدة كأنها لم تكن. والحال أن تلك الروايات متوفرة موجودة بين يديه، لا يمكن استبعادها إلا إن كان ذلك بوعي وسبق إصرار. وهذا التصرف تدليس على القارئ غير المطلع، لأنه يشعره وكأن ما أورده الكاتب هو كل ما هو متوفر وموجود من نصوص في الموضوع.

- عدم أخذ مجموع سمات وخصائص شخصية أبي هريرة بعين الاعتبار، فاستبعدت بالتالي أدواره الرائدة في حفظ القرآن الكريم على الأمة، ودوره في التعليم والفتوى مما يشهد له سيل من النصوص والوقائع. وهذا الاختزال هو الذي سهل على كاتبنا الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها.

ــ التعامل الميكانيكي/الحاسوباتي مع النصوص النبوية، وهو تعامل لا يأخذ بعين الاعتبار أبسط قواعد مصطلح الحديث وأصول الرواية. فنجد الكاتب مثلا يستشهد – في مضمار تشكيكه في حفظ أبي هريرة – بغلبة رواية أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم على رواية عبد الله بن عمرو على الرغم من كتابة هذا الأخير للحديث. ولجأ إلى قرص موسوعة الحديث الشريف الذي يضم الكتب التسعة ليعطيه مجموع روايات كل منهما. فكانت النتيجة أن مجموع روايات عبد الله بن عمرو هو 1315 ومجموع روايات أبي هريرة 8740 (ص 3 ثم 31). ولا ندري ما علاقة هذه الروايات بمقدار الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ إن كثرة الروايات مرتبطة ليس أساسا بعدد أحاديث الصحابي، ولكن بأسباب أخرى في مقدمتها عدد تلامذته. لذلك نجد الحديث الواحد لأبي هريرة يرويه عنه عدد كبير من الرواة صحابة وتابعين. وبالمقارنة بين عدد تلامذة كل من الصحابيين في الكتب التسعة وفق نفس القرص نجد 410 تلميذا لأبي هريرة مقابل 162 فقط لعبد الله بن عمرو. إضافة إلى ذلك فإن مستوى ومرتبة تلامذة أبي هريرة أعلى من مستوى ومرتبة تلامذة عبد الله بن عمرو. إن إكثار الصحابي من الرواية لا يقاس بروايات أحاديثه في كتب الحديث، بل بما روى فعلا من أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما لا يظهر أن الكاتب واع به.

اتهامات وشبهات مستهلكة لشخصية فذة

توقف الكاتب عند عدد من الشبهات والاتهامات التي وجهت لأبي هريرة عبر التاريخ، وعدد منها نوقش باستفاضة وسال المداد حوله كثيرا. ومن ذلك أساسا:

ــ التشكيك في أسباب إكثار أبي هريرة للحديث

ــ التشكيك في ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم

ــ التشكيك في قوة حفظه

ــ اتهامه صراحة بالكذب والاختلاق

إلى غير ذلك من الاتهامات التي كررها الكاتب أو نفخ فيها، لكن الأمة وعلماءها لم يهتموا بها، بعد ما ناقشوها وردوا عليها. والدليل على ذلك أنهم بوؤوا أبا هريرة مكانة خاصة في مجالات عدة. ومن ذلك:

- أنه اعتبر من القراء الذين حفظوا على الأمة كتاب الله تعالى. فقد أخذ عليه عدد مهم من القراء الأعلام منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، وهو أحد القراء العشرة الأئمة، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وصالح بن خوات. وقد أخذ عن هؤلاء نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم المدني، أشهر القراء السبعة. وبذلك يكون أبو هريرة أحد الصحابة القلائل الذين عليهم مدار قراءة نافع. فقد حفظها الأئمة المذكورون عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة. وهؤلاء أخذوا عن أبي بن كعب (انظر النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري، ص 112). ترى ما الذي أعطى لأبي هريرة هذه المكانة لولا ثقة القراء في حفظه وأمانته، بل وإمامته في هذا المجال؟ ترى لو صدقت ادعاءات كاتبنا كيف انطلت الحيلة على القراء كما انطلت على المحدثين؟

- أن أبا هريرة تبوأ منذ الصدر الأول الإمامة في رواية الحديث، واعتبر حافظا للسنة بامتياز. ففي طبقات ابن سعد (340/4) أن ابن عمر كان يكثر الترحم عليه في جنازته ويقول: "كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين". وفي المستدرك على الصحيحين (رقم 6161) عن أبي صالح السمان (وهو أحد كبار التابعين الذين عاشروا فترة الخلفاء الراشدين) قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه (رقم6171) عن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة وفيه مشيخة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا فجعل أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكره بعضهم ويعرفه البعض، حتى فعل ذلك مرارا، فعرفت يومئذ أن أبا هريرة أحفظ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير: 1 /186).

- أن أبا هريرة تولى التعليم والتحديث في المجالس العامة والخاصة واشتهر بذلك، حتى كان يحدث بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي مسند أحمد بن حنبل أن أبا هريرة "يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائما ويقول: حدثنا أبو القاسم رسول الله الصادق والمصدوق صلى الله عليه وسلم، فلا يزال يحدث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس". وهذا يدل على المكانة العلمية المتميزة لأبي هريرة، لأن التحديث في مسجد الرسول بحضرة الصحابة والتابعين لا يسمح به لأي أحد ولا يستطيعه أي كان.

- أن أبا هريرة كان من مراجع الفتوى في الصدر الأول وكثير من الصحابة أحياء. صحيح أنه لم يكن من المكثرين من الفتيا، لكنه لم يكن أيضا من المقلين. وكان يفتي بحضور ابن عباس وغيره من الصحابة، بل استفتاه بعضهم في كثير من المناسبات. وقد عده ابن حزم من المتوسطين في الفتيا، وأقره على ذلك ابن قيم الجوزية في الأعلام (12/1).

كيف لهذه الشخصية المتعددة الأبعاد، الغزيرة العطاء، أن يؤثر فيها من يريد أن يمحوها بجرة قلم من سجل الكفاءات العلمية السامقة؟ وكيف يمكن دراسة جانب حمل الحديث لديها دون أخذ باقي الجوانب بعين الاعتبار؟

إن هدفي هنا ليس هو مناقشة مختلف الاتهامات الموجهة لأبي هريرة، فقد ناقشها جماهير من العلماء والكتاب، وأفردوها أحيانا بمؤلفات خاصة. لكنني أتوقف فيما يلي عند ما هو أغرب وأشنع.

هل أبو هريرة صحابي؟

إن أكبر شبهة أثارها الكاتب هو ادعاؤه بأن أبا هريرة ليس صحابيا، وأنه لم ير قط الرسول صلى الله عليه ولم يرو عنه. وهذه شبهة فعلا جديدة لم أر من أثارها من قبل. وهي تؤدي إلى هدم الجزء الأكبر من مصداقية الصحابة والجزء الأكبر من السنة النبوية. ومما يثبت ذلك ما يلي:

1 ــ أن أبا هريرة عاشره آلاف الصحابة ورأوه يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوه يقول إنه لازمه وسمع منه فلم يكذبه أحد منهم ولا روي عن أي منهم – ولو مرة واحدة – أنه إنما أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعي كاتبنا مصطفى بوهندي.

2 ــ كثير من الصحابة كانوا يأخذون عنه الحديث ويروونه دون حرج وكان في مقدمتهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب.

3 ــ روى عنه مئات التابعين، منهم كبار أئمتهم وحفاظهم، فلم ينكر أحد منهم أنه صحابي ولا شكك في ذلك ولو مرة واحدة ولو بالتلميح. وللعلم فإن التابعين "ليس فيهم أجل ولا أشهر وأشرف وأعلم من أصحاب أبي هريرة" كما يقول الحاكم في المستدرك (3 /587).

4 ــ اعتبره علماء الحديث والتراجم والسيرة والطبقات صحابيا، ولم يورد أحد الشك في ذلك ولو مرة واحدة، وهم الذين يدققون في هذه الأمور تدقيقا. وكان هناك كثير من الأسماء اختلف في صحبتها، ونوقشت، ولم يكن من بينهم أبو هريرة.

ولو تمعن الكاتب هذه الحقائق لتبين له أنها تشكل إجماعا على صحبة أبي هريرة ومكانته، وتواترا معنويا دالا على إمامته. ويعلم أخي مصطفى أن الأخبار المفردة والروايات المعزولة والتأويلات الاجتهادية لا يمكن أن ترقى إلى هدم ذلك الإجماع وذلك التواتر.

أما إذا أخذنا برأي الكاتب فلن يكون من تفسير إلا أننا أمام مؤامرة صمت وتواطئ من قبل أولائك جميعا، أو أمام جهل مطبق منهم بحقيقة أبي هريرة، أي أمام أناس عاجزين عن كشف ادعاءات شخص يكذب عليهم. وإذا كانت هذه الأمور صحيحة فهذا لا يترك لكل ما رواه الصحابة والتابعون ولكل ما قرره علماء الحديث والأصول والتراجم والتاريخ من مصداقية.

لكن ما هي الأدلة التي استند إليها الكاتب لنفي صحبة أبي هريرة؟

حساب التواريخ

إن المستند الأساس لهذا الادعاء الغريب هو حساب عمر أبي هريرة وتواريخ إسلامه ووفاته. فقد أخرج الذهبي في سير "أعلام النبلاء" من حديث كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة في قصة طويلة قال: "قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، وأنا يومئذ قد

زدت على الثلاثين ست سنوات". وبما أن المؤرخين ذهبوا إلى أن عمره بلغ ثمانيا وسبعين سنة، ووفاته محددة حوالي سنة سبع وخمسين، فقد استنتج الكاتب بحسابات نقص وزيادة أنه "إنما أسلم في خلافة عمر بن الخطاب" (ص 45 – 48).

وقد عجبت أشد العجب لهذا التحليل المتهافت من أصله. وقلت أين كان عقل أخي مصطفى وأين فطنته؟ ولكنه التسرع للوصول إلى نتائج محددة سلفا تجعل الباحث يسقط في المنزلقات الخطرة دون وعي. ولتوضيح تهافت تحليل الكاتب أسوق ما يلي:

1 ــ إن الحديث المعتمد في هذا المجال غير صحيح السند. ففيه كثير بن زيد (وهو الأسلمي) ضعفه أغلب أئمة الجرح والتعديل. وهكذا أورده النسائي في "الضعفاء والمتروكين" (1 / 89) وقال: "كثير بن زيد ضعيف". وقال ابن حبان في "المجروحين" (2 / 222): " كان كثير الخطأ على قلة روايته لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد. سمعت الحنبلي يقول سمعت أحمد بن زهير يقول: سئل يحيى بن معين عن كثير بن زيد فقال: ليس بذاك القوي. وقال: كان لا شيء ثم ضرب عليه". والذين روي عنهم بعض تعديل له اضطرب كلامهم مثل يحيى بن معين. والذي يظهر لي أنهم قبلوا حديثه في البداية فلما اطلعوا على كثرة أخطائه جرحوه. وأيا كان فإن الجرح المفسر كما هو الشأن هنا مقدم على التعديل، فكيف إذا كان هذا الأخير واردا بصيغ الشك والنسبية. ولو ذهبنا نستشهد لصالح أبي هريرة بالنصوص والآثار من مثل هذا الحديث لملأنا عدة صفحات. وذلك مثل الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (رقم 6159) عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبو هريرة وعاء العلم". فهذا حديث ضعيف لاختلاف المحدثين حول زيد العمي مثل اختلافهم حول كثير بن زيد. وحديثه ليس بأضعف من حديث كثير. فإذا كان الكاتب يعتمد على الحديث الأول لمحو حقيقة أجمع حولها وتتواتر الشواهد والأدلة عليها، فلماذا أنكر الأحاديث المماثلة في الصحة والمتناثرة في المراجع التي اعتمد عليها؟

2 ــ ولو افترضنا أن الحديث يصلح للاستشهاد فإن حساب الأعمار والتواريخ كله تقديري في الأحاديث والروايات، ولذلك نجد الخلاف حولها يكاد يكون مطردا، ويصل إلى بضع

سنوات في كثير من الأحيان. وقول أبي هريرة أنه أسلم وعمره يزيد على الثلاثين سنة يجب أخذه بنسبية كبيرة، لأن تدقيق التواريخ في ذلك العصر لم يكن دأبهم، وخصوصا بالنسبة لأهل البادية.

3 ــ إن حساب عمر أبي هريرة إنما أخذه المؤرخون من عمره حين إسلامه وتاريخ وفاته. ولذلك قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: " قال أبو سليمان بن زبر في تاريخه عاش أبو هريرة ثمانيا وسبعين سنة قلت وكأنه مأخوذ من الأثر المتقدم عنه أنه كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاثين سنة وأزيد من ذلك"(ص 444). فكيف يؤخذ هذا دليلا لنقض إسلامه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الأصل. إن الواجب عند اكتشاف خلل في حسابهم هو إصلاح الخطأ وتعديل الحساب لا التشكيك في أمر ثابت بالدلائل القطعية.

4 ــ إن الرواية المذكورة تستند إلى قول أبي هريرة. والكاتب يتمسك باستمرار على أنه يختلق الأخبار، ويدعي بهتانا ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف تصلح روايته إذن للاستدلال؟ وكيف يكون صادقا هنا وكاذبا هناك؟ إن المنهج العلمي يقتضي الترجيح بين رواياته باختيار أكثرها اطرادا وتكرارا، واعتبار المخالف منها شاذا يتحفظ منه أو يؤول ليوافق الأكثر لا العكس.

5 ــ هذا كله يصلح لو كنا أمام شخصية مغمورة، تشح المعطيات التاريخية حولها. أما ونحن أمام شخصية تتوفر حولها مادة تاريخية دسمة، مع سيل من الشهادات من معاصريه من الصحابة والتابعين، فإن الإدعاء يضحي نوعا من العبث وبناء الأوهام.

شهادات المعاصرين

الدليل الثاني الذي يستند إليه الكاتب لإنكار صحبة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم، والذي لا يقل غرابة عن سابقه، هو أن لا أحد من الصحابة شهد له بها. يقول بوهندي: «الملاحظ أن الحديث عن هذه الملازمة إنما كان من أبي هريرة عن نفسه، ولم نجد أحدا من الصحابة يتحدث عن هذه الملازمة وهذا الحضور، بل لم نجد عندهم ذكرا ولو عارضا، أو أن أحدهم قد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة – ملازمه – حاضرا، ولو مرة واحدة، إلا ما كان من رواية حسان الشاعر وعبد الله بن عمر وهي تحتاج إلى مدارسة خاصة»

(ص 11)، و «ومن هذه الإشكالات أن هذه الملازمة لايشهد بها المهاجرون والأنصار، ولو كان الأمر لشهدوا، ولكنهم لا يعلمون عنه شيئا...» (ص 16)، وينتهي في ذلك إلى نتيجته الغريبة: «مما يفيد أن أبا هريرة إنما أسلم في خلافة عمر بن الخطاب، فينتفي بذلك أن يصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد (...) (ص 48).

ويبرز مرة أخرى تسرع الكاتب واضحا للعيان، بل يبدو وكأنه مصاب بعمى الألوان، فلا يرى في القرص المدمج الذي رجع إليه وفي الكتب القليلة التي أشار إليها إلا ما يخدم فكرته. والباقي وإن كان موجودا فهو غير موجود. وسأكتفي بسرد نماذج من النصوص التي تكذب الكاتب مع بعض التعليقات الطفيفة، على أن استيعابها يحتاج إلى مجلد كامل.

أولا ــ رواية بعض الصحابة عنه إقرار بسماعه من الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد روى عن أبي هريرة حوالي أربعون صحابيا، في مقدمتهم حبر الأمة عبد الله بن عباس وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو أبوب الأنصاري وأبو أمامة بن سهل ووائلة بن الأسقع وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم... وإن مجرد رواية هؤلاء عنه توثيق له وشهادة له بالصحبة. لكني أضيف لذلك أن كثيرا منهم رووا تصريحه بالسماع من الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأقروه عليه وصدقوه وأخذوا بما نقل، وهم الذين عايشوا المصطفى صلى الله عليه وسلم وعايشوا أبا هريرة. فكيف خفيت عليهم حقيقة أمر يكشف عنه كاتبنا بعد أكثر من 1400 سنة؟ هذا هو السؤال الذي يجب على الكاتب أن يجيب عنه قبل أن يصل إلى استنتاجاته.

أخرج مسلم (رقم 1569) في صحيحه عن ابن شهاب الزهري قال: حدثني أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أسرعوا بالجنازة فإن كانت صالحة قربتموها إلى الخير وإن كانت غير ذلك كان شرا تضعونه عن رقابكم". فنقل أبي أمامة للفظ السماع إقرار منه له.

وأخرج ابن ماجة (رقم 4202) عن واثلة بن الأسقع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب". فهنا نرى الصحابي ينقل مخاطبة الرسول الأكرم لأبي هريرة ويقرها.

ثانيا ــ تصريح بعض الصحابة بسماعه للرسول أو ملازمته له

هناك العديد من شهادات الصحابة الكرام على سماع أبي هريرة من الرسول الأكرم وملازمته له. وأكتفي هنا بنماذج منها.

1 ــ عائشة أم المؤمنين

أخرج الحاكم في المستدرك (509/3) بسند صحيح أقره الذهبي عن عائشة أنها قالت: "يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل ما سمعت إلا ما سمعنا وهل رأيت إلا ما رأينا؟"، فيجيبها: "يا أماه إنه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة والمكحلة والتصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء". فهذا إقرار صريح من أم المؤمنين عائشة بسماع أبي هريرة من النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من إنكارها عليه بعض مروياته مما هو معروف ومتداول. والعجب من الكاتب أن يورد هذا النص في سياق التشكيك في الأسباب التي يذكرها أبو هريرة لإكثاره من الحديث (ص 18 ــ 23)، ثم ينكره ولا يذكره عندما يتعلق الأمر بالاستدلال على صحبة أبي هريرة، وعندما يدعي أن لا صحابي شهد بذلك.

لكن شهادة عائشة أم المؤمنين لأبي هريرة بالسماع والصحبة كثيرة كثرة استدراكاتها عليه. ففي جميعها لم تكن تشكك في حضوره للواقعة، إنما كانت تستدرك في فهمه لملابسات الحديث. ونذكر مثالا واحدا هو ما رواه الحاكم في المستدرك (كتاب العتق) عن عروة قال: بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأن أقنع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا"، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ولد الزنا شر الثلاثة"، و"إن الميت يعذب ببكاء الحي"، فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إصابة ... الخ، فهذا تصريح منها وإقرار بأنه سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم، مع استدراكها عليه في ملابسات الواقعة وطريقة نقلها، وهدا دليل واضح له على الصحبة.

2 ــ عبد الله بن عمر بن الخطاب

أخرج أحمد في مسنده (رقم4221) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، فإن

شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أحد"، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: أبا هريرة انظر ما تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان؟ فقالت: اللهم نعم. فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودي ولا صفق بالأسواق، إني إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة يعلمنيها وأكلة يطعمنيها. فقال له ابن عمر: أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه. وأخرجه الترمذي مختصرا، وقال: هذا حديث حسن.

وأخرج الحاكم في المستدرك (3/ 510) بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان: "قال رجل لابن عمر: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عمر: أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيء به، ولكنه اجترأ وجبنا".

وأخرج أبو داود (رقم 1070) عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: "إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه"، فقال له مروان بن الحكم: أما يجزئ أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه؟ قال عبيد الله في حديثه قال: لا، قال: فبلغ ذلك ابن عمر فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه، قال فقيل لابن عمر: هل تنكر شيئا مما يقول؟ قال: لا ولكنه اجترأ وجبنا، قال: فبلغ ذلك أبا هريرة قال فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا.

وفي فتح الباري لابن حجر (باب من رغب عن المدينة) أن عمر بن شبة أخرج في "تاريخ المدينة" من طريق مساحق بن عمرو أنه كان جالسا عند ابن عمر "فجاء أبو هريرة فقال له: لم ترد علي حديثي؟ فوالله لقد كنت أنا وأنت في بيت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يخرج منها أهلها خير ما كانت". فقال ابن عمر: أجل، ولكن لم يقل خير ما كانت، إنما قال: "أعمر ما كانت"، ولو قال خير ما كانت لكان ذلك وهو حي وأصحابه، فقال أبو هريرة: صدقت والذي نفسي بيده".

وهكذا كثرت الأخبار والوقائع عن ابن عمر شاهدة على ملازمة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم. وقد رفض كاتبنا الاستشهاد بالأثر الأول على الرغم من صحته ووضوح دلالته، ووعد بمدارسة خاصة له، لكنه لم يف بوعده. لكن تعدد الوقائع يفرض أن تنتهي هذه المدارسة إلى إثبات ما أنكره الباحث.

3 ــ طلحة بن عبيد الله

أخرج الترمذي (رقم 3772) عن مالك بن أبي عامر قال جاء رجل إلى طلحة بن عبيد الله فقال: يا أبا محمد أرأيت هذا اليماني يعني أبا هريرة أهو أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم، نسمع منه ما لا نسمع منكم أو يقول على رسول الله صلى اللهم عليه وسلم ما لم يقل؟ قال: أما أن يكون سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع فلا أشك إلا أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع، وذاك أنه كان مسكينا لا شيء له، ضيفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا نحن أهل بيوتات وغنى وكنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار فلا أشك إلا أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع، ولا نجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحق، وقد رواه يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحق. وقد رواه أيضا الحاكم في المستدرك (3ــ 511) بسند صحيح على شرط مسلم.

4 ــ أبي بن كعب

أخرج الإمام أحمد (رقم 20307) عَنْ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ قال: "ثم إن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال (... الخ الحديث). وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج: 3 ص: 584) وفيه: "عن أبي بن كعب قال: ثم كان أبو هريرة جريئا على النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أشياء لا نسأله عنها".

5 ــ حسان بن ثابت

أخرج البخاري (رقم 4539) عن أبي هريرة أن عمر (أي ابن الخطاب) مر على حسان (بن ثابت) وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال: اللهم نعم. ثم أخرج عن ابن المسيب أن حسان قال في حلقة فيهم أبو هريرة: أنشدك الله يا أبا هريرة أسمعت رسول الله صلى اللهم عليه وسلم فذكر مثله.

كما أخرج البخاري بعده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أيده بروح القدس؟ قال أبو هريرة: نعم.

وأخرج مسلم (رقم 2973) عن سعيد بن المسيب قال مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال: نعم.

ثم أخرج أيضا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله هل سمعت النبي صلى اللهم عليه وسلم يقول: يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أيده بروح القدس؟ قال أبو هريرة: نعم.

7 ــ أم الدرداء

أخرج المسند (رقم 10552) عن كريمة ابنة الحسحاس المزنية قالت: سمعت أبا هريرة يقول في بيت أم الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه". فهذه أم الدرداء توافق على سماع أبي هريرة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

8 ــ أبو أيوب الأنصاري

روى الذهبي في سير أعلام النبلاء (2 / 606) عن شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه قال: أتيت المدينة فإذا أبو أيوب يحدث عن أبي هريرة (أي عن النبي صلى الله عليه وسلم) فقلت: تحدث عن أبي هريرة وأنت صاحب رسول الله؟ قال: "إنه قد سمع ما لم نسمع، وأن أحدث عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من أن أحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم". وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (رقم 6175) بلفظ قريب منه. وقد اعتبر العلماء رواية أكابر الصحابة عن أبي هريرة دليلا على مكانته في حفظ السنة. ولذلك قال الحاكم (3 / 586): "قال أبو بكر (يعني ابن خزيمة صاحب الصحيح): وقد روى عنه أبو أيوب الأنصاري مع جلالة قدره ونزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده".

وبعد

ليس الهدف من هذا المقال إيفاء الموضوع حقه، ولا مناقشة مختلف جوانبه وإشكالاته، ولكن الهدف فقط التدليل على أن الإنكار المبتدع لصحبة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم دعوى عارية من الصحة. وهي بقدر ما تبرز جلالة قدر أبي هريرة تزري بصاحبها أشد الإزراء. وقد أسرعت بالكتابة في عجالة قبل أن يكتب غيري ربما أحوز بعض فضل الدفاع عن السنة النبوية الشريفة.

إني أدرك جيدا سبب ما وقع فيه كاتبنا. لقد كان مهموما – كما عرفته – بكشف الإسرائيليات المتسربة إلى المرويات المنسوبة لأبي هريرة. فبدل أن يسلك المنهج السليم المستوعب للشواهد والروايات، المبني على التحليل العميق والموضوعي لها، الواسع الأفق والغني بالفرضيات والاحتمالات في موضوع متشعب خطر، اختار الكاتب جانب التبسيط بإنكار

صحبة أبي هريرة. وبذلك يرتاح من صداع الرأس بنقد المرويات واحدة واحدة، ورواتها، واحدا، واحدا. وهكذا استبدل بالجهد الفكري المضني الحلول الحدية التبسيطية.

كنت أتمنى – ولا أزال أتمنى – أن ينصب جهد الأستاذ مصطفى بوهندي على إضافة نوعية في مجال نقد المرويات الحديثية لكن بمنهج علمي مضبوط وسليم. أسأل الله لي وله التوفيق في القول والعمل، والوقاية من الخطإ والزلل. آمين والحمد لله رب العالمين.